أسباب ومظاهر التلوث البصري في بعض مناطق مدينة بغداد - جانب الرصافة

أ.د. لطيف ماجد ابراهيم المشهداني **سها فاضل عباس**
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

الملخص

بالنظر لكون الجمال يمثل ضرورة غير مادية يجب أن تتصف بها هيئة البيئة الحضرية من أجل تجنب ظهور التلوث البصري، وما يخلفه من آثار نفسية لدى المدرك والملتقي للمشهد البصري، وبسبب تعدد أسباب التلوث البصري بفعل عدة عوامل مترابطة يؤدي بعضها إلى البعض الآخر منها (اقتصادية، تخطيطية، إدارية، اجتماعية، ثقافية، سياسية، مستجدات العصر، الزيادة السكانية، قلة الوعي البيئي)، ظهر التلوث البصري بأشكاله ومظاهره المختلفة في المدن العراقية عامة، ومدينة بغداد خاصة، هذا التشويه جاء كنتيجة لغياب الرؤيا البصرية المرتبطة بالتخطيط البيئي والمعماري الذي اتسمت به مدينة بغداد في العهد الإسلامي .

المقدمة:

يتخذ التلوث أشكالاً متعددة منه ما هو بيئي على مستوى مساحي واسع قد يشمل منطقة جغرافية كبيرة كالإقليم، ومنه ما يرتبط بالبيئة الحضرية التي تمثل المدينة حيزهُ الفعال.

لذا فإن منطقة الدراسة تمثلت في مدينة بغداد– الرصافة، فمدينة بغداد من المدن الكبرى كونها العاصمة فضلاً عن أنها ذات بعد سياسي واقتصادي مهم لأنها تستقطب الموارد اليها بكل الناتج العراقي ثم يعاد توزيعه حسب حصة كل محافظة مما يجعل منطقة الدراسة هي رئيسة في حركة رأس المال وتدويره وهذا يخلق أهمية لمدينة بغداد، ومن هذا المنطلق جاء البحث ليبين تأثير مظاهر التلوث البصري في منطقة الدراسة الذي أدى الى جعل المدينة تتراجع بشكل واضح ولاسيما بعد سنة 2003م.

مشكلة البحث:

لماذا أمسى التلوث البصري ظاهرة واضحة في منطقة الدراسة ومتباينة من مكان لأخر بدرجة مستويات تلوث مختلفة؟

هدف البحث:

1-بيان أسباب ومظاهر التلوث البصري في منطقة الدراسة

فرضية الدراسة:

إن غياب القوانين المساهمة في ضبط حركة سكان المدينة وضعف أو انعدام تنفيذها فضلاً عن غياب الوعي الجمعي للحفاظ على البيئة المحلية جعل المدينة تتسم بتفاقم مظاهرة التلوث البصري .

منهجية البحث:

أعتمد البحث أسلوب المنهج الوصفي التحليلي في تحقيق هدف اوالوصول الى النتيجة النهائية، باستخدام الأساليب الكمية في جمع المعلومات ومعالجة البيانات والاستعانة بالمقابلة الشخصية، والملاحظة والتشخيص المباشر في منطقة الدراسة.

هيكلية البحث:

من اجل الوصول إلى هدف البحث فانه قسم على:

أولا : حدود منطقة الدراسة

ثانياً: ابرز أسباب ومظاهر التلوث البصري في مدينة بغداد –الرصافة

أولا : حدود منطقة الدراسة

تمثلت منطقة الدراسة بجانب الرصافة من محافظة بغداد بوحداته الإدارية لسنة 2015م وهي (مركز قضاء الرصافة، قضاء الأعظمية، قضاء الصدر الأولى، قضاء الصدر الثانية، قضاء المدائن).يقع جانب الرصافة في الجزء الشرقي من المحافظة وعلى امتداد الضفة الشرقية لنهر دجلة. يحدها من الشرق نهر ديالى، ومن الشمال محافظة ديالى، قضائي (قضاء بعقوبة وقضاء الخالص (ناحية هبهب))، ومن الجنوب والغرب نهر دجلة الذي يفصله عن ناحية الكرخ. تبلغ مساحة منطقة الدراسة (363,917كم2) كمجموع مساحة الوحدات الإدارية كما في الجدول (1)، من مساحة مدينة بغداد البالغة مساحتها (951,025كم2) وبنسبة تصل إلى (38,3%)، وعليه فأن التقسيمات الإدارية لمنطقة

الدراسة قد ظهرت في خمسة أقضية وأربعة عشر ناحية، تتوزع هذه الأقضية والنواحي ضمن منطقة الدراسة على مساحات متباينة من قضاء إلى آخر ومن ناحية إلى أخرى.

جدول (5) المساحة التقريبية لمدينة بغداد والرصافة ب(كم^2) سنة 2015م

اسم البلدية	المساحة التقريبية (كم^2)	النسبة %
بلدية الكرادة	70,072	7,4
بلدية 9 نيسان	117,872	12,4
بلدية الرصافة	14,190	1,5
بلدية الصدر 1	30,620	3,2
بلدية الصدر 2	21,061	2,2
بلدية الأعظمية	110,102	11,6
المجموع	363,917	38,3
مدينة بغداد	951,025	100

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على أمانة بغداد، قسم المعلومات الجغرافية GIs، بيانات غير منشورة، 2015م.

خريطة (1)

موقع الجغرافي بالوحدات الادارية لمنطقة الدراسة

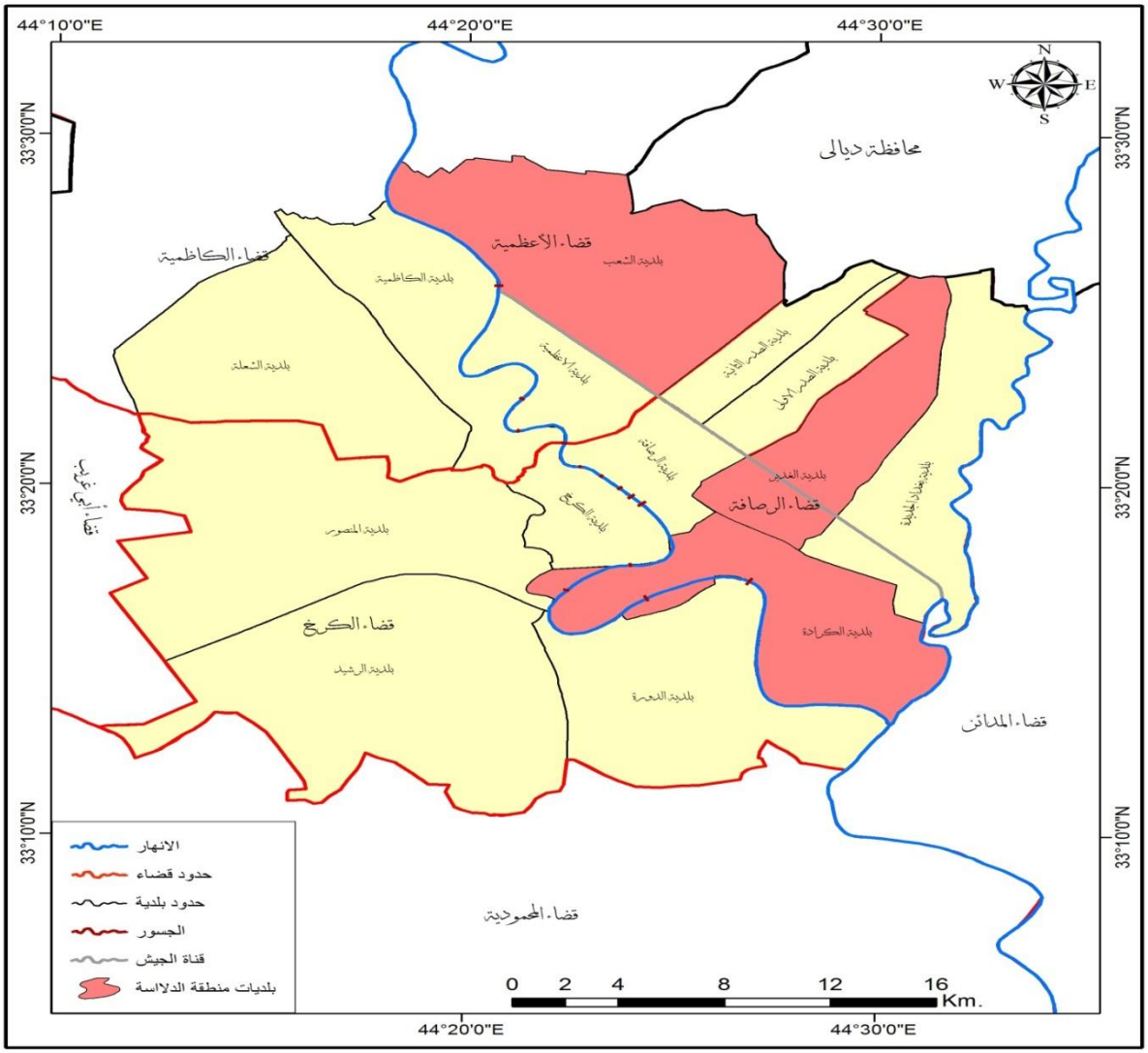

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على:

1-امانة بغداد، قسم المعلومات الجغرافية، دائرة التصاميم (GIS)، خريطة الوحدات البلدية لمنطقة الدراسة، بمقياس رسم 1سم: 2كم^2، 2015م

ثانيا: التلوث البصري (أسبابه ومظاهره):

1- أسباب التلوث البصري:

تشهد المدن العراقية، لاسيما مدينة بغداد، عملية تشويه وفقدان لعنصر التوائم البصرية التي كانت تتمتع بها قديماً، جاء هذا التشويه كنتيجة حتمية لغياب التخطيط، والرؤيا المعمارية الحقيقية المرتبطة بنشأة مدينة بغداد منذ العهد العربي الإسلامي[1]، مما أدى إلى غياب الطابع الحضاري المميز للمدينة، بسبب ظهور الطابع الحضاري الحديث الذي بدأ أثر النهضة الصناعية، والتي غيرت الأطر الحضارية التي كانت سائدة، وأبدلت المعالم والمفاهيم التي كانت موجودة لقرون طويلة.

كان التغيير تدريجياً في الدول الصناعية انسجاماً مع التطور الصناعي والمكتشفات التكنولوجية، أما في البلدان النامية دخل التغيير بصورة طفرة أو طفرات كبيرة، مما أفقدها الحياة التقليدية والتاريخية للمدينة[2].

إضافة إلى الأسباب الأخرى التي أدت إلى انتشار ظاهرة التلوث البصري في المدن التي يمكن إجمالها بما يلي:

أولاً: أسباب اقتصادية:

يؤدي هذا العامل دوراً مهماً في بروز أو اختفاء التلوث البصري للمدن، ذلك لأن الفرق الشاسع في الوضع الاقتصادي والمعاشي بين الدول المتطورة ذات الاقتصاد القوي، والدول النامية ذات الاقتصاد الضعيف، فرض واقعاً بيئياً مختلفاً باختلاف الإمكانات المادية وينطبق هذا العامل على أحياء المدينة الواحدة أيضاً[3]، إذ أن حدوث التلوث البصري في الأحياء الفقيرة يبرز بدرجة أكبر من غيرها، بسبب النقص بالإمكانات المادية والكثافة السكانية المرتفعة، هذا الحال ما آلت إليه مدينة بغداد وخاصة بعد سنة 2003م، وزيادة ظاهرة سكن العشوائيات بشكل غير متوافق مع ملامح المدينة وخصائصها الحضرية.

ثانياً: أسباب إدارية:

يبرز التلوث البصري في المدن، بسبب عدم وجود محددات وقيود تشريعية لمخططي ومصممي المدينة (المعماريين والحضريين)، والتي لا تحكمها قواعد ونظم بنائية وتخطيطية، مما يؤدي إلى ظهور المدينة خارج السياق العام للمشهد الحضري[4]، فضلاً عن ضعف القرارات التي تتخذها بعض المؤسسات والهيئات الحكومية والمحلية

بحق المخالفين، وعدم تطبيقهم التشريعات واللوائح التي تحد من التلوث البصري، وعدم وجود متابعة دورية وجادة من قبل الجهات المختصة، أو إصدار بعض القرارات الخاطئة، منها قرار تغيير استعمالات الأرض للشوارع السكنية إلى تجارية، التي تؤدي إلى زيادة التلوث البصري بشكل غير مباشر.

ثالثاً: أسباب تخطيطية:

ضعف الأداء المعماري المتمثل في رداءة التخطيط وهبوط المستوى الفني للتصاميم تعد من العوامل المهمة في ارتفاع معدلات التلوث البصري[5]، فالمتخصص في هذا المجال غير مدرك للنتائج المترتبة على التصميمات غير المتناسقة، من حيث الألوان ومواد البناء، الارتفاعات، الواجهات، وإهمال المخطط للعوامل الجغرافية لاسيما المناخ، مما يؤدي إلى عدم التناسق ووضوح التنافر البصري[6].

رابعاً: أسباب اجتماعية وثقافية:

تتمثل في السلوكيات الاجتماعية الخاطئة وتردي مستوى الذوق العام، هذه السلوكيات لبعض أفراد المجتمع له آثار واضحة على البيئة الحضرية، مع تدني المستوى الثقافي والتعليمي، وخاصة الثقافة البيئية.

خامساً: مستجدات العصر:

المقصود بها التطور التقني والعلمي، فتوفير وتطوير الخدمات الاجتماعية والبنى التحتية تلبيةً لاحتياجات المجتمع، تعد ضرورة حتمية تفرض على المدينة، ليس كاحتياجات أساسية للأفراد فحسب بل تتعداها إلى الكماليات، خاصة نواتج التكنولوجيا الحديثة (كوسائل الاتصال الحديثة، الهاتف النقال، أجهزة الكومبيوتر، أجهزة استقبال البث الفضائي، أجهزة التبريد والتدفئة). وبمرور الزمن تترك مخلفات معظمها غير قابل للتحلل، وخاصة المواد البلاستيكية، التي تعمل بشكل مباشر أو غير مباشر في تلوث المدن بصرياً.

سادساً: أسباب سياسية (عسكرية وأمنية):

تعد الصراعات السياسية وما ينتج عنها من حروب وعمليات عسكرية أحد الأسباب المباشرة في الفوضى وتدمير دعائم البنى الارتكازية والحضرية، وإن البيئة الحضرية تتعرض للإخلال بالعلاقات المتوازنة بين الكتل الحضرية وفضاءاتها المحيطة. وفقدان عنصر الجمال وضياع مشهد المدينة من خلال تدمير مكوناتها البيئية[7].

سابعاً: الأمية البصرية:

المقصود بها قصور المجتمع عن فهم القواعد البصرية، ودورها في تشكيل المشهد المرضي والمتكامل للمدينة، ويمكن أن تتمثل الأمية البصرية بثلاث جوانب هي:

1. أفراد المجتمع المفتقدين للثقافة البيئية.
2. أصحاب الاختصاص (المعماريين، المصممين، المخططين الحضريين).
3. هم الأكثر أهمية ممن يحملون أمانة الحفاظ على البيئة، والذين يحتل البعض منهم العديد من المراكز التنفيذية (المسئولين) أي الجهات التشريعية والتنفيذية[8].

ثامناً: الزيادة السكانية:

يعد السكان العنصر الأساس والأهم في إحداث ظاهرة التلوث البصري، والزيادة السكانية الحاصلة في مدينة بغداد سواء كانت طبيعية أو بسبب الوافدين إليها (الهجرة) من المدن الأخرى أو المناطق الواقعة في حزام بغداد[9]، جدول (2).

بسبب الوضع الراهن الذي أدى إلى اضطرابات أمنية فيها، شكل ضغطاً على المدينة في جميع مجالاتها، وظاهرة عدم الالتزام بالضوابط والقوانين أدى إلى تدهور بيئة المدينة وظهور أنواع مختلفة ومتنوعة للتلوث البصري (التخلف البيئي، تجزئة الوحدات السكنية، العشوائيات، ...الخ وغيرها). بسبب الفوارق في البيئات الاجتماعية والمستويات الثقافية والمعيشية والاقتصادية.

جدول (2) ارتفاع أعداد السكان للسنوات (1997م-2007م-2014م) ومعدل النمو(*) /محافظة بغداد – الرصافة

السنوات	بغداد			رصافة		
	عدد سكان/نسمة	معدل النمو	%	عدد سكان/نسمة	معدل النمو	%
1997م	4135358	2,9	18,7	2362758	2,4	57,1
2007م	7145470	2,7	24,0	3726006	3,0	52,1
2014م	766592	2,5	21,2	3985273	2,1	52

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، نتائج تعداد سكان محافظة بغداد لسنة 1997م، تقديرات سكان محافظة بغداد لسنة 2007م/2014م بيانات غير منشورة.

*تم استخراج معدل النمو السنوي للسكان بحسب المعادلة الاتية :- $R = (t\sqrt{\frac{p1}{p0}} - 1)x100$

عدد السكان في التعداد الاخير = p1 , عدد السكان في التعداد الاول = p0 , معدل النمو السنوي R عدد السنوات بين التعدادين = t

شكل (1) معدل النمو في أعداد السكان للسنوات (1997م-2007م-2014م)

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على الجدول(2)

2- مظاهر التلوث البصري في مدينة بغداد – الرصافة :

تشمل مظاهر التلوث البصري في مدينة بغداد جميع قطاعات البيئة الحضرية، فهي واضحة في كل الأحياء والمناطق المختلفة، وكل مسارات الحركة من شوارع وطرقات، والميادين والفضاءات العامة، كما نجدها ضمن مفردات تنسيق البيئة الحضرية. مما أدى إلى تلوث المدينة وتشوهها بصرياً وظهورها أمام ساكنيها أو زائريها بمظهر غير حضاري، أدى إلى حرمان المواطنين من التمتع بجمال ونظافة مدينتهم، ويمكن من خلال إجمال مظاهر التلوث البصري، وتوزيعه مكانياً، تحديد حجم المشكلة ومصادرها من خلال التصنيفات التالية:

أولاً: التلوث البصري للطراز المعماري في المدينة:

تميزت مدينة بغداد عن غيرها من مدن العالم، كونها تمثل نموذجاً عمرانياً وحضارياً رائداً في تناسقه وتوافقه وازدهاره في عهد الدولة العربية الإسلامية وكانت صورة حقيقية للبيئة الحضارية السائدة في العراق،ــ حيث راعى المخطط والمعماري في تخطيطه

للمدينة جميع الجوانب (البيئية، المناخية، الدفاعية، الأمنية، الاجتماعية، الموقع الجغرافي،... وغيرها)[10]، وبعد تطور الزمن وظهور التكنولوجيا أدى إلى تشويه المدينة من حيث الشكل والمضمون، ففقدت المدينة نسيجها الحضري، وتدرجها الوظيفي، ولم تستطع المدينة الاحتفاظ بخصوصيتها، لعدم مراعاة التصاميم المعمارية الحديثة، لعوامل البيئة والمناخ مثل درجات الحرارة والعواصف الترابية ونظام الرياح السائدة، وبسبب تشريع قوانين تخطيطية أدت إلى زيادة المشاكل في المدينة، ومنها التلوث البصري المعماري وبعدة أشكال:

1. أشكال وأحجام المباني:

أصبحت صورة مدينة بغداد تختلف من مكان لآخر في الشارع الواحد تبعاً لاختلاف المعماري أو المالك، لذلك ظهرت الأبنية بشكل خليط غريب وغير متجانس من الأشكال والأنماط في الموقع الواحد، أدى إلى فقدان المدينة خصوصيتها وسماتها المميزة والجميلة، حيث أسهم المعماريون والمخططون في هذا التدهور المعماري بطريقة غير مباشرة لإرضاء رغبات وأهواء المالك للمبنى.

وللمؤثرات المعمارية أثرها الواضح في إظهار التلوث البصري في المدينة بالأشكال التالية:

•اعتماد أنواع مختلفة وحديثة من مواد البناء، أظهرت المنشآت السكنية، والتجارية أو المؤسسات العامة والخاصة بصورة وأنماط متباينة أنظر الصورة (1)

•التباين في شكل المباني، بسبب اختلاف المواد المستخدمة في التغليف للواجهات، كالزجاج، الألمنيوم، الأخشاب، الأحجار الطبيعية، أدى إلى حدوث خللاً في التناغم أنظر الصورة (2)

•التباين في الألوان المستخدمة، مما أدى إلى التنافر البصري في شكل الأبنية المتجاورة[11].

• تباين أشكال المباني ما بين الحديث والقديم في الموقع الواحد، من خلال ترميم بعض الأبنية القديمة بصورة مسيئة لها من الناحيتين الشكلية والتاريخية

• التباين في ارتفاعات المباني، التي لا تعترف بالقوانين ولا تحترم الأسس التنظيمية والتخطيطية للمدينة أنظر الصورة (3)

• عدم مراعاة الظروف المناخية في التصاميم والذي يظهر من خلال استخدام مواد بناء وتغليف للواجهات تؤدي إلى الزيادة في درجات الحرارة[12] أنظر الصورة (4).

2. التعديلات والإضافات على الوحدة السكنية:

يتمثل هذا النوع من التلوث البصري في المواقع السكنية، والتعمد في إغفال القواعد والمحددات المعمارية والتخطيطية، الذي ينتج عنه فقدان الطابع العام المميز للمناطق السكنية في المدينة، وفقدان الملائمة الوظيفية والبيئية والجمالية والمناخية للوحدة السكنية[13]، وما يترتب عليه من تشويه لواجهات الوحدة السكنية نتيجة للتعديلات والإضافات على عناصر الوحدة السكنية ومنها إضافة طابق ثالث إلى الوحدة السكنية[*]أنظر الصورة (5).

3. اختلاف مواد البناء (اللون، الملمس):

إن تنوع المباني المتجاورة يعكس تنافراً حضارياً وبصرياً وجمالياً، وخروجاً عن الالتزام الحضري أي انتظام البيئة الحضرية، وإن عدم وجود تكامل في الألوان وتنوعها في المباني المتجاورة يعلن عن فوضى بصرية وتخلف سلوكي، فكل مبنى هو حلقة من سلسلة متكاملة تتكون من مجموع المباني المترابطة والمحددة بصرياً أنظر الصورة (6)

4. البناء غي المكتمل:

بدء هذا النوع من التلوث البصري يظهر بشكل متزايد في مدينة بغداد وعلى نوعين:

النوع الأول: ناتج عن ترك صاحب الوحدة السكنية البناء بهيئة غير مكتملة، حيث يظهر هنا دور التكلفة المادية في تحديد مواد التشطيب النهائية للواجهات التي تحدد الشكل العام للمبنى، على الرغم من وجود مواد قليلة التكلفة إلا أن صاحب المبنى يفضل السكن دون إتمامه، كلما طالت مدة الإنجاز طالت المدة الزمنية للتلوث البصري الناجم عنها أنظر الصورة (7).

النوع الثاني: انتشار المباني والعمارات غير المكتملة البناء، التي تترك بهيئة هياكل جزئية أو أنصاف مباني دون إنهاء بنائها، مما يوجد منظراً مشوهاً للمناطق المتواجدة فيها، بالتالي ينتج عنها أماكن ملائمة لتجمع النفايات المسببة للتلوث البيئي والبصري في المدينة

5. المباني المتروكة (المتدهورة):

هي الوحدة السكنية ذات الطابع الشرقي التقليدي، التي تفتقر إلى الصيانة الدورية وعدم توفر الخدمات فيها، مما أدى إلى هجرها وتحولها إلى أحياء غير مؤهلة للسكن، معظمها في المناطق السكنية القديمة في قضاء الرصافة الممتدة على جانبي الأزقة الملتوية الضيقة منها (الشيخ عمر، وخلف الشيخ عبد القادر، الأعظمية، مدينة الصدر، وحتى في الكرادة، وبغداد الجديدة وغيرها) أنظر الصورة (8).

6. الاستغلال الخاطئ لأجزاء المباني:

تتمثل في خزانات المياه وأقفاص تربية الطيور وانتشار صحون التقاط البث على أسطح المباني، أو استغلال الفضاءات الفارغة المحيطة بالبناء كأماكن للتخلص من النفايات أو للخزن، وكذلك استغلال الأسطح والنوافذ لتثبيت أجهزة التكييف بشكل كثيف وعشوائي، مما يشوه المنظر العام للمباني[14].

7. المناطق الأثرية والتاريخية:

يظهر التلوث البصري في المناطق الأثرية والتاريخية لمدينة بغداد – الرصافة– نتيجة عدة أسباب منها:

• فقدان التتابع الحضري نتيجة لاقتحام المباني الحديثة لتلك المناطق، شكل تناقضاً واضح ما بين الماضي والحاضر.

• سوء الاستعمال، وانعدام الصيانة الدورية لهذه المناطق الأثرية، أدى إلى تشويه البعض منها بصرياً.

• ترميم المباني باستخدام مواد وخامات غير متوافقة مع الخامات الأصلية، أدى إلى اختفاء معالم الكثير منها، وتشويهها بصرياً.

يتميز جانب الرصافة بالعديد من المناطق الأثرية منها الجوامع والكنائس والقصور والأضرحة، والمناطق التجارية القديمة، مثل (المدرسة المستنصرية، جامع الخلفاء، مرقد وجامع الإمام الأعظم، جامع الحيدر خانة (1819م)، سوق السراي، الشورجة... وغيرها).

8. تغيير استعمالات الأرض:

من أهم مسببات التلوث البصري هو تغيير استعمالات الأرض في مدينة بغداد، يعود لصدور قرار التغيير، الذي صدر في سنة 1983م، إذ بلغ عدد الشوارع الرئيسية

والثانوية التي شملها التغيير (230) شارع[15]، أو يكون الباعث لتغيير استعمالات الأرض في المدينة، بسبب ضعف أجهزة التخطيط وكفاءة وأسلوب التنفيذ، مما أثر في التركيب الوظيفي للمدينة، المتمثل في اختلاط وتداخل الاستخدام السكني مع التجاري والخدمي، مما أفقد المحلة السكنية الخصوصية والعزل البصري والاجتماعي والبيئي الذي كانت تتميز به، وخيمة المحال التجارية على المناطق السكنية، التي أصبحت ظاهرة تنتشر في أغلب مناطق مدينة بغداد السكنية وعدم تركزها في جزء معين منها[16].

9. التوسع السكني وتآكل الأراضي الزراعية:

ظهرت هذه المشكلة نتيجة للنمو الحضري السريع بسبب الزيادة السكانية المتسارعة، والقرارات[*] الكثيرة الصادرة بشأن تحويل جنس الأراضي الزراعية إلى سكنية[17]. الذي مثل تجاوزاً رسمياً على التصميم الأساسي لمدينة بغداد والرصافة، وما ترتب عليه في ضياع مساحات واسعة من الأراضي الزراعية وترك آثار سلبية، تأتي في مقدمتها التدهور البيئي[18]، وارتفاع معدلات التلوث بكل أشكاله، منها التلوث البصري وظهور مباني أسمنتية صماء[19]، تعمل على تآكل وتعرية مدينة بغداد عموماً وجانب الرصافة خصوصاً، من المناطق الزراعية.

إلا أن درجة التغيير المساحي لمدينة بغداد في استعمالات الأراضي الزراعية كما في الجدول (3) يبدو قد بلغت في جانب الرصافة (45,02%)، وهو أعلى نسبة تغيير حصل في المدة (2000م–2014م) إذ انخفضت المساحة الزراعية من (65136) دونم إلى (35807) دونم، مؤشراً لمقدار التجاوز على الأراضي الزراعية الذي يسير في الاتجاه السالب وبنسبة كبيرة في الرصافة[20].

جدول (3) التغير النسبي لمساحات استعمالات الأرض في بغداد الرصافة (2000م-2014م)

الوحدة البلدية	مساحة الاستعمال الزراعي سنة (2000م)	مساحة الاستعمال الزراعي (2014م)	نسبة التغير (-)
الكرادة	14035	5588	60,18
بغداد الجديدة	16368	7823	52,20
الشعب	20772	11654	43,86
الصدر /2	5347	4328	19,05
الغدير	4327	3061	29,25
الأعظمية	2222	1105	50,27
الصدر /1	2075	2049	1,25
الرصافة	199	–	–
مجموع الرصافة	65136	35807	45,02

المصدر: وزارة الموارد المائية، المديرية العامة للمساحة، خريطة مساحة مدينة بغداد.

ثانياً: مسارات الحركة المختلفة:

إن المدينة تابعة ومطيعة لتوجهات الشارع، وما يتركه من مؤثرات بصرية تعكس التفاعل ما بين المجتمع والبيئة المكانية، التي قد يظهر فيها التلوث البصري بالأشكال التالية، والتي أصبحت من ظواهر مدينتنا في الوقت الحالي:

عدم الاهتمام بالنظافة والصيانة الدورية للشوارع، وعدم وجود الوعي البيئي لدى المواطنين، وعشوائية توزيع صناديق القمامة في الشوارع

• اختلاف أشكال وأحجام وألوان حاويات القمامة، وعدم القدرة على استيعاب الأحمال الواقعة عليها وانتشار القمامة حولها، وأخذها حيزاً مكانياً في الشوارع المخصصة لحركة السيارات، أو على الأرصفة المخصصة لحركة المشاة

•انعدام الصيانة الدورية، لشبكات تصريف مياه الأمطار أو شبكات الصرف الصحي التي تعاني من التلف وعدم الكفاءة والعجز في تصريف المياه الثقيلة في بعض الشوارع.

•الاختناقات المرورية في ساعات الذروة، الناتجة عن عدم كفاية مسارات الحركة لاستيعاب الكثافة المرورية والارتفاع المتزايد لأعداد السيارات في مدينة بغداد خاصة بعد سنة (2003م).

• ندرة مواقف السيارات وعدم تخصيص أماكن كافية لانتظار السيارات، زاد من ظاهرة وقوف السيارات على جانبي الشوارع، مسبباً إعاقة في حركة المشاة والمركبات.

• انتشار ظاهرة باعة الأرصفة، واستعمال الشارع لعرض البضائع والسلع، المنتشرة في أغلب أرصفة الشوارع التجارية الرئيسية والثانوية وحتى السكنية منها، وامتداد البضائع المعروضة لتحتل جزء من حيز الشارع، مسبباً فوضى في مسارات الحركة (للمشاة والمركبات).

• سوء تنفيذ أعمال الرصف والأكساء للشوارع والأرصفة، واستخدام مواد الرصف ذات أحجام وأشكال مختلفة من منطقة إلى أخرى ورداءة معظمها، وتبديلها بين الحين والآخر نحو الأسوأ، وترك المخلفات في الشوارع وفوق فتحات تصريف مياه الأمطار، بالإضافة لوجود التخسفان المنتشرة في الشوارع مما يهدد سلامة وأمن المشاة والسيارات، هذا غير تشويهها للمنظر العام لشوارع المدينة.

• الانتشار الكثيف للمولدات الكهربائية في مدينة بغداد ومنطقة الدراسة، بسبب الانقطاعات المستمرة للتيار الكهربائي، كان سبباً في تشويه المنظر العام للمدينة، وتلوثها بانتشار الغازات المنبعثة والدخان، والتلوث الضوضائي، وتلوث المواقع بتراكم المياه الآسنة الناتجة عن تبريد المحركات، ومخلفات الدهون والوقود، وتشابك الأسلاك الكثيرة والمتشعبة الممتدة من هذه المولدات باتجاه مستهلكي الطاقة الكهربائية[21].

•. وسائل الدعاية والإعلان الموجودة في كل مكان، ما هي إلا دليل لعدم الالتزام بالضوابط والقيود المفروضة على القطع التعريفية المنتشرة في الشوارع، التي وضعتها أمانة بغداد، مثل أحجام ومقاييس وأبعاد هذه القطع والمدة الزمنية المخصصة لوجودها في الشارع، أو على أسطح أو واجهات المباني[22]، بالرغم من وجود حملات أسبوعية من قبل لجنة الذوق العام في أمانة بغداد – جانب الرصافة، إلا أنها لا تستطيع السيطرة عليها، لعدم وجود من يلتزم بها من قبل المؤسسات والشركات، الحكومية أو الخاصة، أو حتى التي تعود إلى جهة سياسية[23].

ثالثاً: تنوع نمط الوحدات السكنية:

1. تجزئة الوحدات السكنية/ تلجأ الأسر إلى تجزئة الوحدات السكنية إلى وحدات أصغر (مشتملات)(*) ، بسبب انشطار الأسرة أو دوافع اقتصادية[24]، دون الاهتمام بما يترتب على ذلك من تشويه لواجهات المسكن، وفقدان الطابع العام المميز للوحدة السكنية، وتغيير التركيب الداخلي لعناصر المنزل، وعدم ملائمتها الوظيفية والجمالية والبيئية، وفقدان الخصوصية البصرية والسمعية وانعدام الاستقلال والشعور بالملل والكآبة[25].

2. المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية/ يظهر من خلال استخدام ذوي الدخول المرتفعة أشكال ومواد مبهرة ومكلفة في إنجاز الوحدة السكنية، بغرض التباهي يتعارض مع الطابع العام للوحدة السكنية أو المنطقة، ويؤدي لانعكاسات مسيئة للنمط السكني، باستخدام أشكال وألوان للواجهات دون دراسة، مما يشوه المبنى ويؤثر على ما حوله من مباني.

3. انتشار العشوائيات/ تعدد مناطق الاستيطان العشوائي، تجمع سكاني غير مخطط يمثل تعدياً على أملاك الدولة أو الأملاك العامة، ويتم البناء عليها دون ترخيص وأنشأها بإمكانيات مادية محدودة، تتميز بتفشي الفقر وتدني الأوضاع البيئية والحضرية، وتدهور وانعدام الخدمات كلياً، مما ينتج عن ذلك بيئة عمرانية غير مقبولة من كافة النواحي حيث ينقصها الكثير من المبادئ العمرانية والبيئية والتخطيطية السليمة[26].

تفاقمت هذه الظاهرة في مدينة بغداد بعد سنة (2003)[27]، بسبب أعداد النازحين واللاجئين والمهجرين (بفعل العنف الطائفي)، وزادت بعد سنة (2014) نتيجة الاضطرابات التي عاشتها المدن العراقية، وكانت الحصة الأكبر من نصيب الرصافة كما في الجدول(4). ويحتوي قضاء الرصافة على أكبر عدد للتجمعات العشوائية في (122) محلة وفيها (71339) وحدة سكنية عشوائية، ويسكنها (463704) نسمة، مقارنتاً مع باقي الأقضية في جانبي الرصافة والكرخ.

جدول (4) عدد تجمعات السكن العشوائي والمساكن والسكان على مستوى القضاء في محافظة بغداد

القضاء	عدد المحلات	عدد المساكن العشوائية	عدد السكان
الرصافة	122	71339	463704
الأعظمية	64	12877	83701
الصدر /2	14	8038	52247
الصدر /1	9	5468	35542
الكرخ	55	6592	42848
الكاظمية	37	6935	45078
المحمودية	11	740	4843
أبو غريب	3	390	2535
الطارمية	2	470	3055
المدائن	48	2885	18753
المجموع	335	115739	752304

المصدر: أمانة بغداد، قسم المساحة، تقرير عن السكن العشوائي في محافظة بغداد سنة 2014م.

رابعاً: أثاث الشارع:

تتمثل في العناصر الضرورية والأساسية، الكمالية منها والتجميلية، المنتشرة في شوارع المدينة ومنها:

1. أعمدة الإنارة/ تتعدد في أشكالها وارتفاعاتها في الشارع الواحد، واختلاف مصادرها (طاقة كهربائية، طاقة شمسية).
2. المقاعد والمظلات ومواقف الباصات (الخدمة العامة)/ هي من المتطلبات الضرورية لراحة الساكنين وحمايتهم من الظروف المناخية المختلفة، كأشعة الشمس والأمطار، ويلاحظ ندرة هذه العناصر أو انعدامها في معظم المناطق.
3. مظاهر التشكيل الفضائي (الساحات والميادين)/ تعد من أهم العناصر الجمالية للمدينة. كالتماثيل والنافورات والساعات وأحواض الزهور، والنصب التذكارية، التي تتميز بها مناطق الرصافة مثل (نصب الحرية، نصب معروف الرصافي، كهرمانة، نصب

الشهيد). التي تعاني من الإهمال والتلف وعدم الصيانة الدورية لها بسبب التصدعات والتكسرات، أو استخدام مواد رديئة للصيانة كما في (نصب الحرية) في الباب الشرقي حالياً. أو إزالة البعض منها بسبب الأعمال التخريبية كإزالة نصب (المقاتل العراقي) في باب المعظم. فتحولت هذه العناصر من مكملة لجمال المدينة إلى مناطق تلوث بصري في المدينة.

4. الغطاء النباتي والمناطق الخضراء/ على الرغم من السعي الدائم لتوسيع المناطق الخضراء وزراعة الأشجار والنباتات التي تتحمل الظروف المناخية القاسية مثل ارتفاع درجات الحرارة، لما لها من فوائد بيئية متعددة[28]، وتمثل عنصر جمالي مريح للنفس البشرية. نلاحظ نقص كبير في الغطاء النباتي والمساحات الخضراء في بيئة المدينة[29]، لعدم اهتمام أمانة بغداد بالمزروعة منها بالسقي الدائم والعناية الدورية، الأمر الذي ساهم بموت النباتات وتحول العديد منها، أما أماكن جرداء تشكو من التصحر، أو أماكن لرمي النفايات، وهي ظاهرة منتشرة في أكثر الساحات وخاصة السكنية.
5. انتشار الحيوانات السائبة/ تعد ظاهرة انتشار الحيوانات، وتحركها بحرية في الشوارع والطرق، داخل المدينة وبين الأحياء السكنية، ظاهرة غير حضارية ومسببة للعديد من مشاكل التلوث، فضلاً عن كونها معيقة لحركة المرور.
6. الأعمدة الكهربائية والإشارات المرورية/ يعتمد نقل الطاقة الكهربائية في مدينة بغداد بطريقتين الأولى: الكيبلات الممتدة تحت الأرض. الثانية: من خلال شبكة واسعة من الأعمدة، تنقل التيار الكهربائي من مصادرها إلى المناطق المختلفة. وهي منتشرة وبإشكال وأطوال متباينة، وذات ألوان وأشكال منها الأنابيب أو الأعمدة الحديدية المنفردة والمزدوجة، ذات منظر غير متناسق.

خامساً: أثر الحروب:

تعرضت بغداد لعمليات عسكرية عديدة – أكثرها شدة أحداث 2003م وما تلاها – بدأً بدخول القوات العسكرية الأجنبية وتدمير المدينة وهويتها الحضرية، انتهاءً بالخراب الحاصل نتيجة الصراعات السياسية والطائفية، المدمرة للمدينة ولإرثها الحضاري والمعماري، أصبحت صورة مقطوعة عن الماضي ولا تعبر عن الحاضر[30].

تؤدي الحروب إلى إحداث أعلى درجات التلوث البصري بل تضاعف من تشويه المدن، ويتمثل التلوث البصري الناتج من الحروب بعدة أشكال وأوجه:

• تدمير دعائم البنية العمرانية، سواء كان لمؤسسات ودوائر تابعة للقطاع الخاص أو العام، إن مؤسسات القطاع الخاص يتم ترميمها وإعادتها للحياة، إلا أن مؤسسات القطاع العام تعاني من بطء المعالجة، وأكثرها دوائر الدولة المنحلة مثل معسكر الرشيد الذي أصبح مستوطنة عشوائية، أو كدار الحرية للطباعة في الوزيرية(أصبحت مكب للنفايات)، أو كالأسواق المركزية المهملة التابعة لوزارة التجارة، وغيرها.

• انتشار الحواجز الكونكريتية بمختلف الأحجام والارتفاعات كجدران تفصل ما بين المناطق، أو وسائل حماية للمؤسسات كالوزارات، أو السفارات، أو المصارف، والجامعات، ودور العبادة والجوامع، الحسينيات، الكنائس. أو لقطع الشوارع المؤدية إلى دور المسئولين أو المؤسسات الأمنية، أو لمقرات الأحزاب، هذه الظاهرة أفقدت المدينة جمالها، وعملت على حجب الرؤيا البصرية للمدينة

• انتشار الأسلاك الشائكة، كإحدى الوسائل الأمنية، التي تنشرها قوات الأمن العراقي، وجودها سوى إعاقة لحركة المارة والسيارات، وتشكل خطراً على حياة المواطنين، وأماكن لتجمع النفايات العالقة بها.

• حواجز التفتيش المنتشرة في أحياء المدينة/ التي تنتشر في جميع الشوارع ومداخل ومخارج معظم المناطق في مدينة بغداد – جانب الرصافة – تعمل على إعاقة حركة المرور وازدياد الازدحامات، فضلاً عن أماكن استراحة العناصر الأمنية على شكل غرف أو كرفانات، تثير القلق والتوتر في نفوس المواطنين ولا يعد ذلك مريحاً بصرياً.

من خلال ما تقدم نجد تعدد مظاهر التلوث البصري، والتي بمجملها تعود لأسباب منها إدارية من خلال التضارب في عمليات اتخاذ القرار، والتخلف الثقافي والتعليمي والاجتماعي والبيئي بسبب الزيادة السكانية، المصاحبة لمستجدات العصر الآنية.

ويظهر التلوث البصري بسبب نقص الإمكانيات المادية الموجهة للاستثمار في المدن، بيد أن مئات الملايين من الدولارات تنفق على المشاريع تحت عنوان (أعمار) لا تعمل إلا أن تزيد من سوء المدينة بصرياً، لعدم وجود التخطيط المسبق لها ضمن تخطيط المدينة، وعشوائية التنفيذ ومستوى الوعي لدى المصممين والمخططين أنفسهم.

كل ذلك عمل على إرباك وضع المدينة وأضاف تلوثاً بصرياً جديد واختناق أكثر، مما وضعها في قائمة المدن الأسوأ للعيش في العالم، من خلال التقارير العالمية التي تطلقها المنظمات المختصة إنسانية كانت أم جمالية التابعة للأمم المتحدة.

الخاتمة:

أصبح انتشار التلوث البيئي في المدن شائعاً، مع الزيادة السكانية وقلة الوعي البيئي بالثقافة البيئية والعمرانية، وغياب الشعور بالمسؤولية تجاه البيئة الحضرية.

فالبيئة بكل مكوناتها ظهرت فيها كل أشكال التلوث، وما هي إلا سبباً من أسباب ظهور التلوث البصري الذي يعد أكثر شمولاً وتعقيداً، لأنه يمتد ليشمل البيئة الحضرية والعمرانية، والذي زاد مع التطور السريع في المدن المعاصرة وخاصة العربية منها، فظهر التلوث البصري بأوجه عديدة نتيجة انتشاره (عمرانياً، وبيئياً). وظهور التنافر البصري للمشهد الحضري بعيداً عن التحضر الذي تشهده مدن العالم الآخذة بالازدياد والاتساع، والتي لم تستطع بعض المدن اللحاق بها كمدينة بغداد، بسبب سرعة النمو الحضري الذي يواجه تحديات التلوث البصري، المشوه لجمال المدن.

صورة (1) اختلاف مواد البناء المستخدمة للمنشآت السكنية والتجارية

المصدر: الدراسة الميدانية، 2015/5/15م.

صورة (2) التباين في شكل المباني بسبب اختلاف المواد المستخدمة في التغليف

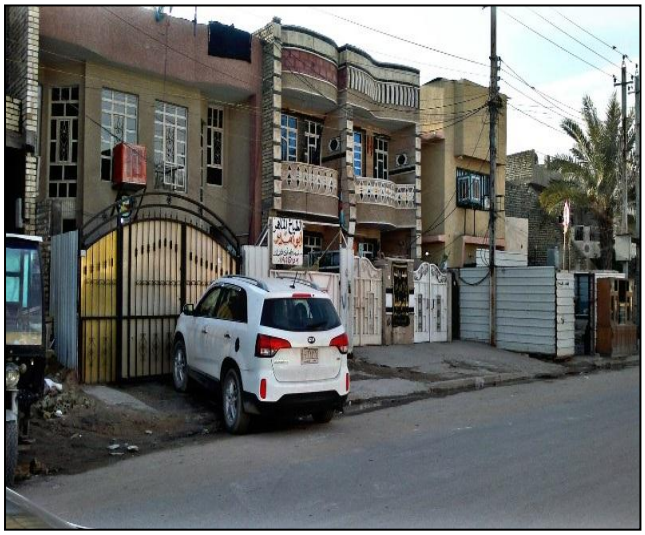

المصدر: الدراسة الميدانية، 2015/5/15م.

صورة (3) التباين في ارتفاعات المباني

المصدر: الدراسة الميدانية، 2015/5/15م.

صورة (4) استخدام مواد بناء وتغليف للواجهات لا تراعي الظروف المناخية

المصدر: الدراسة الميدانية، 2015/5/15م.

صورة (5) إضافة طابق ثالث إلى الوحدة السكنية (المشتملات)

المصدر: الدراسة الميدانية، 2015/5/15م.

صورة (6) اختلاف الألوان المستخدمة في الواجهات

المصدر: الدراسة الميدانية 2015/5/13م.

صورة (7) المباني والعمارات غير المكتملة البناء

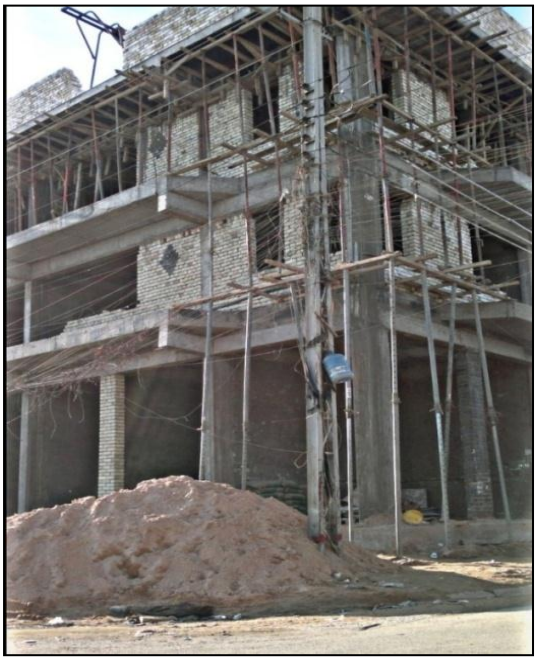

المصدر: الدراسة الميدانية 2015/5/13م.

صورة (8)المباني القديمة المتروكة والمتدهورة في جانب الرصافة

المصدر: الدراسة الميدانية 2015/5/13م.

المصادر

1. حيدر كمونه، التغيير في خصوصية المدينة بين التراث والمعاصرة، مجلة الحكمة، العدد 44، بغداد، 2007م، ص174.
2. عبد الفتاح أحمد علي الكم، تطوير وتحسين العناصر البصرية والجمالية في المنطقة المركزية لمدينة طولكرم، رسالة ماجستير، التخطيط الحضري والإقليمي، جامعة النجاح، فلسطين، 2009م، ص41.
3. اسامة دعيج ، البيئة العمرانية في الكويت تعاني من التلوث البصري، جريدة النهار، الكويت، العدد687، 27/7/ 2009م.
4. أسامة دعيج ، مصدر سابق.
5. أنيس الزيرجاوي، التلوث البصري في المدينة العراقية المعاصرة، على الموقع الالكتروني:http://www.alsabaah.com/paper.php?saarce=akbar&pa28

6. أسامة دعيج، مصدر سابق.
7. حيدر كمونه، أثر الحرب على البيئة، على الموقع الالكتروني:
http://www.estis.net/sites/enviroir/default.asp?sit=enviroirag&pageid=6809
8. طلال عباس البياتي، التلوث البصري في الشوارع التجارية دراسة بصرية لمشهد شوارع تجارية منتخبة من مدينة الموصل, رسالة ماجستير , مركز التخطيط الحضري والاقليمي , جامعة بغداد , 2000 ، ص72.
9. محمد صالح ربيع، التباين المكاني لتوزيع السكان وكثافتهم في مدينة بغداد، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد السابع عشر، 2006م، ص15.
10. حيدر كمونه، التطور الحضاري على مر العصور، مجلة المخطط والتنمية، مركز التخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد، العدد 15، 2006م، ص127.
11. يحيي محمد عيد يوهانسن، عمر محمد الحسني، التلوث البصري وتأثيره على سلوكيات الإنسان واستيعابه للفراغات العمرانية العامة، تحليل مقارن بين مدينتي القاهرة ودمشق، بحث منشور جامعة عين شمس – كلية الهندسة، االتخطيط الإقليمي والعمراني، 2006م، ص6.
12. محمد طلال جميل خالد , تحلبل وتقييم التشوة البصري في وسط مدينة طولكرم , رسالة ماجستير , كلية الدراسات العليا , جامعة النجاح , فلسطين , 2009، ص16.
13. منذر الحميدي، التلوث البصري، داء إنساني وكارثة خطيرة، الدستور، العدد 3319، السنة 11، 2014م، ص5.
*. إضافة طابق ثالث إلى الوحدة السكنية: قرار عدد (1004/2) في 2014/12/7، الموافق عليه من أمانة بغداد.
14. زكي جوهر، التلوث البصري يخفي المظاهر الجمالية للبيئة، على الموقع الالكتروني:
http//www.mowtenalakhdar.com/articles.php?action=show.ID=1023.
15. سوسن جبار إبراهيم، استعمالات الأرض في بلدية الشعلة، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2013م، ص140.
16. مهندس أقدم وسن إبراهيم، قسم المعلومات الجغرافية، أمانة بغداد، مقابلة بتاريخ 2015/2/1م.
*. قرار تحويل الأراضي الزراعية إلى سكنية: رقم القرار (117) سنة (2000م).

17. عباس عبد الحسين خضير، الآثار البيئية للتوسع العمراني على استعمالات الأراضي الزراعية، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد 106، 2013م، ص448.
18. وداد داود سلمان، الزحف العمراني على المناطق الخضراء وآثاره على التلوث البيئي، أطروحة دكتوراه، التخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد، 2007م، ص28.
19. عثمان غنيم، تخطيط استخدامات الأراضي الريفي والحضري، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2002م، ص90.
20. م. حنان هادي علي، مدير قسم المعلومات الجغرافية -Gis-، أمانة بغداد، مقابلة بتاريخ 2015/2/1م.
21. وسن قصي ناجي، المشاكل الناجمة عن تلوث الهواء – تلوث المولدات يوازي ما تقدمه من خدمات، مجلة البيئة والحياة، وزارة البيئة العراقية، بغداد، السنة الأولى، العدد 1، 2006م، ص20.
22. مظهر عباس أحمد، عادل حاتم نوار، دور لوحات الإعلان التجارية في التلوث البصري للبيئة العمرانية في المدن العراقية، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، العدد 20، 2006م، ص333.
23. مقررة لجنة الذوق العام، شروق محمد، أمانة بغداد، مقابلة بتاريخ 2014/12/2م، العمر 35 سنة.
*. مشتملات: جمع مشتمل وهو وحدة سكنية صغيرة منشطرة من وحدة سكنية أكبر.
24. أنمار حامد مطاوع، الحد من التلوث البصري داخل المدن على الموقع https//www.okaz.com.salhew/Issues/2011/1/23.
25. أنمار حامد مطاوع، مصدر سابق.
26. وحدة شكر محمود، المجمعات السكنية المصممة بوصفها بديلاً عن البناء العشوائي، مجلة الهندسة، العدد 9، المجلد 18، 2012م، ص164.
27. فوزية جاسم شادي، رئيس فريق العمل من قسم المساحة، أمانة بغداد، مقابلة بتاريخ 2014/12/2م.
28. صلاح أبو الليل، استزراع أشجار دائمة في بغداد، البيئة والحياة، مجلة شهرية، وزارة البيئة العراقية، بغداد، العدد4، 2006م، ص4.

29. براء شرف الدين عزيز، واقع التنوع الإحيائي والتشجير في بغداد، مجلة البيئة والحياة، مجلة شهرية، وزارة البيئة العراقية، بغداد، السنة الثانية، العدد 19، 2007م، ص22.

30. كمونة، حيدر، اثر الحرب على البيئة، على الموقع الالكتروني:-
http://www.estis.net/sites/enviroir/default.asp?sit=enviroiag&pageid=6809.

Abstract

Summary view of the fact that beauty is a need for nonmaterial must be characterized by the Urban Environment Agency in order to avoid visual pollution appearance and its consequences from the psychological effects of the perceived and Gathering visual spectacie multiplicity of Rbela causes visual pollution by several interrelated factors some of which lead to others including(economic , planning , administrative , social, cultural, political, development of the times, overpopulation, lack of interoperability awareness) visual pollution forms and various manifestations of the general Iraqi cities afternoon , and the city of Baghdad especially ,this distortion came as a result of the absence of visual vision associated with the interface and architectural planning that characterized by the city of Baghdad in the Islamic era .